مع غزّة

عيسى مخلوف

سؤال جوهريّ حول مصير العالَم

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر على إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء. «ان نحوّل الوعي إلى ثقل سياسي فاعل في مواجهة الظلم»، يقول الشاعر والمترجم اللبناني لـ«العربي الجديد»

باريس ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظلّ ما يجري من عدوان إبادة على غزّة؟

ما يحدث في غزّة اليوم هو لحظة تاريخيّة بامتياز، وهذه اللحظة لا تمسّ الفلسطينيّين وحدهم، بل العالم أجمع، وتفضح حقيقة الواقع الراهن مع عودة السلطة المطلقة وما يستتبعها من عُنف مُطلق، كأنّ المبادئ والمعاهدات والقوانين الإنسانيّة التي سُنّت بعد الحربين العالميّتين انهارت الآن تماماً. لذلك فإنّ ما يُدفَن تحت أنقاض غزّة اليوم ليس عشرات الوف الإبرياء فحسب، بل أيضاً بقايا المعنى الإنساني، ما يدفعنا إلى طرح سؤال جوهريّ حول مصير العالم نفسه.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

لا يُمكن لمَن في نفسه ذرّة عقل وعاطفة أن يُشاهد يوميّاً، على مدى شهور متواصلة، حفلة الإعدام الممنهجة هذه، ويُتابع حياته كالمعتاد. على المستوى الشخصي، أبذل جهداً كبيراً، كلّ يوم، للقيام بأبسط النشاطات والأعمال التي اعتدتُ القيام بها. كيف لا وأمامنا، بالصورة والصوت، كلّ هذا القتل وكلّ هذا الصمت الدوليّ المتواطئ القائم على حسابات ومصالح لا مكان للإنسان فيها. يلزمنا وقتٌ طويل لاستيعاب هذه الحرب من جوانبها المختلفة وأثرها البالغ وانعكاساتها العميقة.

■ إلى أي درجة تشعر أن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

ما في استطاعة الإبداع أن يفعل أمام قنبلة ثُقبَت البشر والحجر والحديد الصَلب؟ مع ذلك، رسمَ بيكاسو لوحة «غيرنيكا»، وزوران موزيتش، الوجوه النحيلة التي أكلها الجوع والألم. الإبداع المُروِّع الذي يطالعني الآن هو ما يعبّر عنه الناجون الذين ما زالوا يعيشون في مكان انتفى فيه الحدّ الفاصل بين الحياة والموت. لا تُفارقني أصوات الأطفال الذين فقدوا آباءهم وأمّهاتهم. لا تُفارقني العبارات التي يتلفّظون بها وأدوِّن الكثير منها، وأشعر أنّها تختصر سجلّ الحروب والمآسي على مرّ العصور. أسمع الطفل الذي فقَدَ قدميه بسال الطبيب إن كانتا ستنموان من جديد. أسمعُ الفتاة التي تقول إنها تعرّفت إلى والدتها من ضفيرة شعرها بين الأنقاض، والطفلة الجريحة التي تتساءل إن كان ما تعيشه حقيقة أم حلماً؛ من واجب المُبدع أن يدحض حملات التزوير التي سقط فيها عددٌ مُهمّ من كبريات وسائل الإعلام العالميّة. في زمن الحروب، عندما يُصبح العيش مسألة حياة أو موت، البست النزعة الإنسانية المُهدّدة بالانقراض هي أيضاً فعلَ إبداع

بطاقة

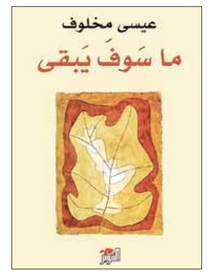

كاتب وشاعر لبناني مُقيم في باريس. درس في «جامعة السوربون» وحاز منها على شهادة الدكتوراه في الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية. صدر له في الشعر مجموعات عدّة، من بينها: «تماثيل في وضح النهار» (1984)، و«غزلة الذهب» (1992)، و«عين السراب» (2000)، و«رسالة إلى الاختين» (2004)، و«مدينة في السماء» (2012)، و«نامت احلامهم وتارجحت على الموج» (2016)، و«قنعة الغربة» (2018)، و«ما سوف يبقى» (2019).

ما يُدفن تحت أنقاض غزّة اليوم هي بقايا المعنى الإنساني

ستعودون إلى مدارسكم ومنازلكم، انتم رسالة الغد والمستقبل

لا يستقيم من دونه أيّ إبداع آخر؟

■ لو قيّض لك البدء من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أم مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

اختيار الإبداع لأنه مرادف للأمل، ولأنه يؤكّد أنّ في مقدور الإنسان أن يفعل شيئاً آخر غير الحروب، ولأنني، من خلال المشروع الإبداعي، أسعى إلى تغيير نفسي أوّلاً. مهمّة المثقّف في مثل هذه الظروف هو أن يشهد بموضوعية وينتصر للحقّ والعدالة انتصاره للجمال، وأن ينحاز إلى العقل لمواجهة غرائز الكراهية والموت التي تعود بنا إلى أزمنة سحيقة لم تعرف البشريّة بعدُ كيف تتخلّص منها مرّة واحدة وأخيرة.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

أن يتوقّف تزييف الحقائق الأساسيّة للعلم والأدب والفنّ، وأن تُردَم الهُوّة بين البُعد الإنساني والتطوّر العلمي والتكنولوجي. لقد تابعتُ منذ البداية تأثير هذه الحرب على الحياة الثقافية والإبداعية في الغرب، وتأكّد لي ثانيةً من هُم الذين يستأثرون بالقسم الأكبر منها، وكيف يُوظّفونه في السياسة بدلاً من وضعه في خدمة الإنسان وارتقائه. ولئن كان الوعي الشعبي المتزايد الآن للقضية الفلسطينية بداية التغيير، فلا بدّ من زيادة هذا الوعي وترسيخه ليصبح قادراً على تشكيل ثقل سياسي فعلي يساهم في التخفيف من الظُلم، وإيجاد حلول قائمة على العدل والمساواة، ووضع حدّ للجُرح الذي ينزف منذ خمسة وسبعين عاماً، ويهدّد بمضاعفاته المنطقة كلّها والعالم أجمع.

■ شخصية إبداعية مقاومة من الماضي تودّ لقاءها، وماذا ستقول لها؟

صوتٌ مُبدع كلّ صوت يُدافع عن الحرّية وحقوق الإنسان والقضايا العادلة. نيلسون مانديلا هو أحد هذه الأصوات، وأحد رموز الصمود والأمل، وهو القائل: «لا تكتمل حرّيتنا من دون حرّية الفلسطينيّين».

■ كلمة تقولها للناس في غزّة؟

ماذا أقول لهُم وهُم الذين يعلّموننا كلّ يوم معنى الأمل في المستقبل رغم كلّ الفظائع والتضحيات؟

■ كلمة تقولها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

أن يتعلّم ويُنتصر للعقل، لأنّ الجهل احتلال ومقاومة الجهل شرط ضروري لمقاومة أيّ احتلال آخر.

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان، ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيحبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي». ماذا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟

لدارين ولأطفال فلسطين: أنتم رسالة الغد والمستقبل. ستنزلون قريباً عن الصليب وستعودون إلى مدارسكم ومنازلكم، وستكون دماء شعبكم هي الطريق لعودتكم إلى الحياة.

عيسى مخلوف

صوت جديد

المساحات التي تُشبهني وأُشبهها

نواف رضوان

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح وانشغالات الجيل العربي الجديد من الكتّاب

حيفا ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوان إبادة على غزّة؟

أكثر ما أفكّر فيه هو الصمتُ الذي نعيشه في أراضي فلسطين المُحتلّة عام 1948 بعد أكثر من ستّة أشهر على الإبادة الجماعيّة المستمرّة في غزّة. لقد سلبَنا اعتيادُنا المشهدَ إنسانيّتَنا. ها نحن ننام على مجزرة ونستيقظ على أخرى، والمجزرة الجديدة تُنسينا المجزرة التي سبقتها، بينما نجلس في أماكننا مثل تماثيل رخاميّة ضجرة، مشاعرنا متبلّدة، وأحجار عيوننا تتنقّل أمام كلّ هذه الدماء الواضحة في الشاشات عالية الدقّة. ما يشغلني بالفعل هو أن يُصبح الموت جنباً إلى جنب مع فنجان القهوة الصباحيّة وجلسة الأصدقاء أو حتّى دخول الحمّام، أن يتحوّل كلّ هذا الخراب إلى تفصيل آخر صغير ضمن يومياتنا، وأن نتحوّل إلى مُتفرّجين. وحتّى هذه اللحظة نحن متفرّجون بالفعل، مجرّد حطام لهذا العدوان المستمرّ، وإذا كان أكثر من 34 ألف شهيد و100 ألف جريح ومليوني نازح لم يوقظونا حتّى الآن من غفلتنا، فلا أعرف ما الذي يُمكنه أن يفعل ذلك.

■ كيف تفهم الكتابة الجديدة؟

الجديد توأم القديم، وما بينهما خلاف دمويّ على إرث الأب الضالّ. ربّما لا أميل إلى الخوض في مفهوم الكتابة الجديدة فيما يتعلّق براهنيّتها زمنيّاً، بقدر ما أُفضّل النظر إليها كمحاولة مُستمرّة تسعى إلى خلخلة وتحطيم كلّ ما هو سائد ومُهيمن، هذا جوهرها الذي أؤمن به، وهو أن يكون لديها الوعي والقدرة على دفع حدود الأدب إلى أقصى المُتخيّل والممكن، وتحويله إلى لُعبة خطرة دائمة وخلق مناطق تعبير مجهولة، وإحداث تغيير جذريّ في التجربة المعيشة وأساليب التعبير عنها.

■ هل تشعر نفسك جزءاً من جيل أدبي له ملامحه وما هي هذه الملامح؟

كلّ جيل ضحيّة هواجسه وإزعاجاته ومساعيه للإفلات والهرب منها، وإذا كان بإمكاني الحديث عن هذا الجيل الذي أنتمي إليه فهو بلا شكّ جيلُ التيه والضياع وحُفر اليأس المُظلمة، لا على المستوى الأدبيّ فحسب، وإنّما على المستوى المعيشيّ. نحن جيلُ الثورات العربيّة المُكدّسة في الأقفاص والزنازين والمقابر الجماعيّة، جيل الذكاء الاصطناعيّ والغباء الاصطناعيّ والخوارزميّات التي تطحن فينا ليلَ نهار، والأدب بطبيعة الحال، ليس إلّا امتداداً لما نحن عليه، أو ما نحاول أن نكونه، ربّما أنتمي إلى جيل أدبيّ أتّخذ من السخرية متراساً أخيراً كآليّة دفاعيّة لكي لا أُصاب بالجنون والعته، وسط كلّ هذه الجدّية والعجز والخذلان المُحيطين بنا من كلّ جانب.

■ كيف هي علاقتك مع الأجيال السابقة؟

أشعرُ أنّ ارتباطي بالأجيال السابقة يُشبه إلى حدّ ما لُعبة شدّ الحبل بين التمرّد على التقاليد والتشبُّث بها؛ علاقة مُتوتّرة تشوبُها الكراهية والحبّ والاحترام والحقد الدفين، إنّهم أشباح الماضي التي تُطاردني دائماً، وأنا أقف على أكتافهم مثل طفل فاسق في مدينة ملاهٍ هائلة.

■ كيف تصف علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟

بشكل عامّ، لا شكل محدّداً لها. لا أصف نفسي نشطاً ثقافيّاً، ربّما أميل إلى التقوقع على ذاتي مثل سلحفاة كئيبة وسط أرانب الأدب النشيطة. ربّما هو الكسل، وربّما أنّني لا أُحسن التعامل مع البيئات الجماعيّة والصورة الكبرى بقدر ما أميل إلى الأفراد كأفراد، بعيداً عن أيّ اعتبارات أُخرى، لكنّني بشكل عام موجود ضمن المساحات الصغيرة والضيّقة في أماكن إقامتي في حيفا وبرلين وعمّان. هذه المساحات التي تُشبهني وأُشبهها، وأرغب في إبقائها صغيرة وحقيقيّة.

■ كيف صدر كتابك الأول وكم كان عمرك؟

هذه مفارقة أحبُّها. صدرت مجموعتي الشعريّة الأولى أثناء سنوات دراستي الأولى في كليّة الآداب في «الجامعة الأردنيّة»، كنتُ حينها في الثانية والعشرين من عمري، حيث دفعتُ أساتذة في الكليّة بالمجموعة إلى الناشر، وخلال الفصل الدراسيّ، اخترت قصيدة منها ضمن مادّة النقد الأدبيّ، والتي درستها إلى جانب زملائي. الغريب أنّني حصلتُ على علامات متدنّية! كانت فضيحة جميلة في ذلك الوقت!

أنتمي إلى جيل أدبيّ اتّخذ من السخرية متراسا أخيرا

نواف رضوان (ـ: أحمد سلامة)

■ أين تنشر؟

مجموعتي الشعريّة الأولى «الصلاة الأخيرة على باب الكنيسة»، نُشرت في «المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر» ببيروت، والكتاب الثاني «حقيبة مليئة بالضحك» نُشر في «منشورات المتوسّط» بميلانو، أمّا الكتاب الثالث «حفلة الديك» فقد قرّرتُ نشره ذاتيّاً والخوض في هذه التجربة ضمن «منشورات الغرفة» بدعم من «المورد الثقافيّ». أنشرُ بين الحين والآخر بعض النصوص المتفرّقة في مجلّة «فسحة» الفلسطينيّة و«القدس العربي» وبعض المنصّات الأخرى.

■ كيف تقرأ وكيف تصف علاقتك مع القراءة: منهجية، مخططة، عفوية، عشوائية؟

بشكل عامّ أقرأ بوتيرة يوميّة، خصوصاً في الأدب والشعر والرواية. قد تحدّث بعض الانقطاعات التي تمتدّ لأشهر، لكن بطبيعة الحال، ثمّة قراءة منهجيّة تتعلّق بالمواضيع أو أعمال كُتّاب معيّنين، وهناك قراءات أخرى عفويّة وعشوائيّة تنتمي إلى اللحظة الراهنة، الأمر كلّه يرتبط عندي بالمتعة، دائماً التقط ما يلفت انتباهي.

■ هل تقرأ بلغة أخرى إلى جانب العربية؟

أحياناً بالإنكليزيّة، إذ أقرأ بها ما يتعلّق في مجال السينما والدراما وسيناريوهات الأفلام، أو ما لا يُمكن تحصيله بالعربيّة، لكنّ معظم قراءاتي بالعربيّة، أمّا الألمانيّة فقد ابتعدتُ عنها منذ سنوات، وأمل العودة لها قريباً.

■ كيف تنظر إلى الترجمة وهل لديك رغبة في أن تُترجم أعمالك؟

ربّما كان لديّ هاجس الترجمة قبل عدّة سنوات. بعض كتاباتي تُرجمت بشكل فرديّ إلى الإنكليزيّة والفرنسيّة والبرتغاليّة، لكن الآن، لا أظنّ أنّني مهتمّ بهذا الأمر، ولا أعرف ما الذي سأُضيفه الترجمة إلى نصوصي. إذا لم أكن مقروءاً بلُغتي، فلماذا أستحقّ أن أكون مقروءاً بلغات أخرى؟ لا قيمة في ذلك بالنسبة لي! انظُر إلى غزّة، ها نحن نكتب ونُترجم ونصرُخ بكلّ لغات العالم، منذ أكتوبر الماضي ونحن نحاول أن نثبت أنّنا نموت، ولا أحد سوى الفلسطينيّ في العالم مطلوب منه أن يُثبت أنّه ميّت، وللسخرية، على هذا الإثبات أن يكون مترجماً! أعتقد أنّني تحرّرتُ من هذا الوهم خلال السنوات الأخيرة. لا أسعى إلى الترجمة، ولا أعترض عليها. ببساطة، لم يعُد هذا الأمر يعنيني.

■ ماذا تكتب الآن وما هو إصدارك القادم؟

في الوقت الحاليّ أعمل على أكثر من إصدار، الأوّل روايةٌ متخيّلة أعمل عليها منذ سنتين بعنوان «أولاد الشيكون» حول الجريمة المنظمة التي تشكّلت في أراضي فلسطين المحتلّة عام 1948، وتمتدّ أحداثها منذ عام 1987، ومن المخطّط لها أن تصدر في العام المُقبل، وهناك أيضاً مجموعة شعريّة تُراوح مكانها منذ فترة طويلة، فالشعر بطبعه أنانيّ لا يقبل المشاركة مع أيّ شيء آخر، بالإضافة إلى العمل على كتابة فيلم طويل.

إضاءة

يتعلّم الطاغية من العجز بينما يعجز الثوري عن التعلّم

ماذا سيُبنى فوق الأنقاض؟

البنية القديمة آيلة للانهيار فعلاً، ومع ذلك فلن تجد في أيّ مكان أو زمان من عالمنا العربي مشروعاً واحداً متكاملاً يتحدّث عن اليوم التالي

معدوح عزام

في رواية «زوربا» لكازانتزاكي، يسأل زوربا رئيسه في العمل: «أنت تريد أن تثير الشعب، أن تفتح عيونه... دع الناس مطمئنّين. لا تفتح أعينهم، إذا فتحت أعينهم، فما الذي سيرون؟ بؤسهم؟ دعهم إذن مستمرّين في أحلامهم»، ثمّ يُضيف: «إلّا إذا كان لديك، عندما تفتح أعينهم، عالم أفضل من عالم الظلمات الذي يعيشون فيه الآن. لديك هذا العالم؟». فيجيب الرئيس الراوي: «كنت أعلم جيّداً ما سيتهدّم. لكنّني لا أعرف ما الذي سيُبنى فوق الأنقاض».

تكاد تُمثّل هذه الإجابة حالة جميع الثورات والانتفاضات والتمرّدات التي سعى فيها الشعب، أو الثوّار، أو المنتفضون، أو المتظاهرون، والكتّاب والمفكّرون، في العالم العربي، منذ بداية القرن العشرين حتى اليوم، أي منذ أن بدأت أفكار العالم الجديد تصل إلى بلادنا، سواء من الغرب، أو من الشرق، للثورة على العالم القديم. فقد كان جميع المناضلين من أجل الحرية، أو الديمقراطية، أو التخلّص من المستبدّ، أو من أجل الحياة الأفضل، أو الاشتراكية، يعرفون تماماً ما الذي لا يريدونه، أو ما الذي سوف يهدمونه، ولكنّنا لا نقرأ في أيّ بيان، أو خطّة، أو برنامج، أو شعارات ما الذي يريد أولئك الذين يتقنون الهدم بناءه بدل الأبنية التي سيهدمونها.

واللافت أنّ البنية القديمة آيلة للانهيار فعلاً، ومع ذلك فلن تجد في أيّ مكان من عالمنا العربي، أو في أي زمان، من أزمنته الجريحة، مشروعاً واحداً متكاملاً يتحدّث عن اليوم التالي.

وبالرغم من هزائم الماضي القريب المتكرّرة، فإنّ جميع الثورات التالية في الربيع العربي لم تتحدّث إلّا عن الهدم أيضاً. لم يُقدّم الثائرون، هم محقّون في ثورتهم في الدول العربية التي شهدت الثورات، أيّ مشروع بديل حتى ولو عن كتاب القراءة للصفّ الأوّل الابتدائي، وكلّهم كانوا يعرفون جيّداً ما الذي لا يريدونه، وكلّهم يريدون هدم الحاضر السياسي، ولكنّهم مثل راوي زوربا: فتحوا عيون الشعب على العالم الأفضل، ولم يعرفوا هم، أو هو، ما الذي سيُبنى فوق الأنقاض.

المشكلة أمامنا أضحت مشكلتين اليوم، الأولى هي تلك التي يتحدّث عنها الراوي في رواية زوربا، إذ إنّ العالم الجديد لا يتّضح كفاية، أو لا يتّضح بالمرّة، والثانية هي أنّ النجاح الجزئي الذي تحقّق لم يُقدّم أيّ بديل. لقد أعيد من جديد إنتاج الطاغية، كأنّ الطغاة الجدد قد تعلّموا جيّداً كيف يمسكون السلطة، اقتداءً بالفشل الذي سار فيه أسلافهم، وتلك هي المفارقة الغريبة، إذ يعجز الثوري عن التعلّم، بينما يتعلّم الطاغية من العجز.

واللافت أنّ الشخصية التي يعجب بها الثوريّون في العالم، وهي زوربا، تطالب الراوي بالتوقّف عن صناعة الحلم، وترى أنّ ترك الناس في حياتهم المعتادة، المظلمة، أفضل بكثير من إخراجهم منها إلى حياة جديدة أخرى مظلمة، إذا لم يكن لديهم حلّ آخر، أو فكرة مختلفة، وخطّة كبيرة تدحض الحاضر البائس. يبدو زوربا صادقاً في دعواه، غير أنّ صدقه، وصدق الراوي، يُبقي العالم في بؤسه، وفقره، والظلم الواقع عليه. إنّه صدق المهزوم، الذي لا يعرف شيئاً عن العالم الذي يحلم به.

(روائي من سورية)

لا مشروع بديلاً ولو كان كتاب قراءة للصفّ الأوّل الابتدائي

من مدينة جندريس قرب حلب السورية بعد زلزال 2023 (Getty)

فعاليات

يُفتتح، اليوم الجمعة، في فضاء «فنّ وشاي» الثقافي بعمّان، معرضٌ بعنوان **مجموعة مُلصقات فلسطين** للفنّان **محمد عفيفه**، ويتواصل حتى التاسع والعشرين من الشهر الجاري. يستلهم الفنّان أعماله من مشهد المقاومة الفلسطينية للاحتلال الاسرائيلي، ويُخصّص جزءٌ من ريع المعروضات لدعم صمود اهالي غزّة.

تحية لرفعت العرعير: قوّة رواية قصّة غزّة، عنوان الندوة الافتراضية التي تنظّمها «هيماركت بوكس» و«تُبتْ عبر «يوتيوب» عند الواحدة (بتوقيت شيكاغو) من بعد ظُهر الثلاثاء، 26 نيسان/ ابريل الجاري. يُشارك في الندوة كلٌّ من: **اسماء ابو مزيد**، و**جهاد ابو سليم**، و**مصعب ابو توهة**، و**يوسف م. الجمّال**، و**شهد ابو سلامة**، وتُديرها الباحثة والناشطة الاميركية **جينفر بينغ**.

كيف يعود محمد عبد الوهاب المقتول في عين عارة عام 1948 الى شاتيلا؟ وماذا يريد من احفاده، ولماذا يُغادر نصّاً، ولِمَ تحلم سلوى؟ يُناقش اعضاء «نادي قرّاء الجنوب» مجموعة **احلمي يا سيدي** القصصية للكاتبة الفلسطينية **سارة ابو غزال**، عند السابعة من مساء 10 ايار/ مايو المُقبل، في مكتبة «خان الجنوب» ببرلين.

عند الثامنة من مساء الجمعة، 26 من الشهر الجاري، يعرض «مسرح السرايا العربي» في يافا المحتلّة فيلم المخرجة الفلسطينية **كارول منصور** **عائدة** (2023). يسرد الشريط قصّة «عائدة» (والدة المخرجة) وصراعها مع مرض الالزهايمر، والتي تجد العزاء في «عود تها» المتكرّرة الى يافا وفلسطين ايّام شبابها.